دور المؤسسة الأسرية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد

ط/د. نورالدين عزوز

جامعة أم البواقي

ملخص

يهدف هذا المقال إلى معرفة الدور الذي تلعبه المؤسسة الأسرية باعتبارها النواة الأولى والأساسية للمجتمع في تنشئة الأفراد اجتماعيا، إذ يرجع احتفاظ هذه المؤسسة بدورها الرئيس في التطبيع الاجتماعي لأعضاء المجتمع، إلى ما للأسرة الإنسانية بصفة عامة من خصائص أساسية مميزة عن سائر مؤسسات التنشئة الاجتماعية من جهة، كما أنها الأنسب لتبدأ فيها ومنها عملية إكساب الفرد القيم المعايير والمهارات التي تجعل منه عضوا فاعلا وقادرا على التكيف مع مجتمعه من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: الفرد- الأسرة- المجتمع- التنشئة الاجتماعية.

Abstract

This article aims to know the role played by the family institution as the first and basic nucleus of society in the socialization of individuals, as it retains its main role in the social normalization of members of society, due to the basic characteristics of the human family in general distinct from other socialization institutions on the one hand It is also best suited to begin with, including the process of acquiring individual values and skills that make him an active member and able to adapt to his community on the other.

Keywords: individual, family, community, socialization.

مقدمة

تعتبر الأسرة هي البيئة الأولى التي ينتمي إليها الفرد ويعيش مع أفرادها، ويقع تحت تأثيرها ويستمع إلى توجيهات أفرادها ونصحهم، والأسرة هي أول المنشئين اجتماعيّاً ونفسيّاً، والتي ينال فيها الفرد أول قسط من التربية وينعم فيها بالحب والطمأنينة، ويصاحبه أثرها طوال حياته، وللأسرة مسؤولية كبرى ودور (Role) مهم في تقرير النماذج السلوكية التي يبدو عليها الفرد في كبره، ذلك أن شخصية الإنسان وفكرته عن هذا العالم وما يتشربه من تقاليد وعادات ومعايير للسلوك تتشكل داخل الأسرة، ونظرا لأهميتها في حياة الفرد والمجتمع فهي ذلك الرحم الاجتماعي الذي تنبت فيه بذور الشخصية الإنسانية وينمو فيه أصول التطبيع الاجتماعي بل وتنمو فيه الطبيعة الإنسانية.

فهي ذلك المجال الذي يحقق فيه الفرد استقراره وتماسكه مع باقي أفراد أسرته، ويتم ذلك عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية التي هي من أبرز العمليات تأثيراً على الأفراد في مختلف مراحلهم العمرية، لما لها من دور أساسي في تشكيل شخصياتهم وتكاملها، وهو ما سيتم التطرق له في هذا المقال عبر توضيح الدور الوظيفي للمؤسسة الأسرية في تنشئة الأفراد اجتماعيا عن طريق إكسابهم العادات والتقاليد والمعتقدات (Croyances) والقيم السائدة في بيئتهم الاجتماعية التي يعيشون فيها.

أولا: بحث في دلالتي مفهومي الأسرة والتنشئة الاجتماعية

1. مفهوم الأسرة (La Famille)

يعد مفهوم الأسرة من المفاهيم التي تتداخل مع العديد من التخصصات العلمية كعلم الاجتماع والقانون والاقتصاد وعلم الوراثة ودراسة الأجنة والتشريح، ورغم أن الأسرة مؤسسة معروفة لكل فرد، باعتبارها أهم مؤسسة اجتماعية يتكون منها البناء الاجتماعي للمجتمع، وكل واحد يعتقد أنه يعرف عنها كل شيء، إلا أن العلماء بتعدد

تخصصاتهم واتجاهاتهم النظرية والفكرية، لم يستطيعوا إعطاءها تعريفا شاملا واضحا ودقيقا، وذلك لتنوع حجمها وتعقد بنيتها ووظائفها وعلاقاتها من مجتمع لأخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى[1].فمن الناحية **اللغوية:** الأسرة مشتقة من الأسر بمعنى الشد والعصب والأسرة بالضم تعني الدرع الحصين[2]،كما ورد مفهوم "الأسرة" في معجم علم الاجتماع بمعنى الأسر، وهو القوة والشدة، وبذلك تفسر الدرع الحصينة، إذ أن أعضاء الأسرة يعتبر كل واحد منها درعا للآخر، وتطلق على أهل الرجل وعشيرته وعلى الجماعة التي يضمهم هدف مشترك[3]، أما **اصطلاحا:** فلم يتفق علماء الاجتماع على تعريف محدد للأسرة نظرا لتعدد أنماطها، فهي نتاج اجتماعي تعكس صورة المجتمع الذي تظهر وتتطور فيه، حيث إذا كان المجتمع يمتاز بالثبات، امتازت هي الأخرى بذلك أما إذا كان المجتمع مجتمعا متغيرا تغيرت هي الأخرى، حسب ظروف ونمط هذا التغير، وعليه؛ فقد عرفها"**أوغست كونت**"(Auguste Comte) بأنها: "الخلية الأولى في جسم المجتمع والنقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، والوسط الطبيعي والاجتماعي الذي يترعرع فيه الفرد"، ويؤكد "**جورج ميردوك**" (G. Murdock) على الخاصية الاجتماعية "**للأسرة**" التي أبرزها التعريف السابق بقوله: "هي عبارة عن جماعة اجتماعية تتميز بمكان مشترك، وتعاون اقتصادي، ووظيفة تكاثرية، ويوجد بين اثنين من أعضائها على الأقل علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، وتتكون الأسرة على الأقل، من ذكر بالغ، وأنثى بالغة، وأطفال سواء من نسلها أو بالتبني[4]،بينما يذهب "ر.**م ماكيفر**"(R.M Maciver) و"**ش.بيج**" (C.H Page) إلى تعريف الأسرة بأنها: جماعة دائمة مرتبطة عن طريق علاقات جنسية بصورة تمكن من إنجاب الأطفال ورعايتهم، قد تكون في الأسرة علاقات أخرى ولكنها تقوم على معيشة الزوجين أو الذين يكونان مع أطفالهما وحدة متميزة، وتعرف هذه الوحدة بمجموعة معينة من الخصائص المشتركة في المجتمع الإنساني بأسره هي كالتالي:-

1. علاقة زوجية.
2. شكل من أشكال الزواج أو أي تنظيم آخر يمكن بواسطته أن تنشأ الرابطة الزوجية وتصان.
3. نظام التسمية يتضمن في الوقت نفسه طريقة لتحديد سلسلة النسب.
4. بعض الخدمات الاقتصادية التي يشترك فيها أعضاء الجماعة ولكنها ترتبط على الأخص بالحاجات الاقتصادية المتعلقة بإنجاب الأطفال وتربيتهم.
5. مسكن مشترك تختص به الأسرة وحدها أو قد يشاركها فيه أسر أخرى.

ويقترب التعريف السابق الذي ركز على الطابع البيولوجي للأسرة من التعريف الذي قدمه "**عاطف غيث**" إذ يقول: "الأسرة جماعة بيولوجية نظامية تتكون من رجل وامرأة تقوم بينهما رابطة زوجية مقررة، وأبنائهما، ومن أهم الوظائف التي تقوم بها هذه الجماعة إشباع الحاجات العاطفية، وتهيئة المناخ الاجتماعي الثقافي الملائم لرعاية وتنشئة وتوجيه الأبناء"[5]،كما تتكون الأسرة من مجموعة من الأشخاص نتيجة اتحادهم بروابط الدم أو الزواج أو التبني، فيكونون مساكن مستقلة لهم، ويتفاعلون من خلال التواصل مع بعضهم البعض بأدوارهم الاجتماعية المختصة كأب وأم،

وزوج وزوجة، وأخ وأخت، وابن وابنة، الأمر الذي ينشئ لهم ثقافة مشترك ة[6] ، أما "**تالكوت بارسونز**"(Talcott Parsons) فيعتبر الأسرة "**نسق اجتماعي**" (Systeme Social)، لأنها هي التي تربط البناء الاجتماعي بالشخصية، ونفس عناصر تكرين البناء هي بعينها عناصر تكوين الشخصية، فالقيم والأدوار عناصر اجتماعية تضم العلاقات داخل البناء، وتوجد بين هذه العناصر علاقة تداخل وتفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعي وهو الجسر الرابط بينهما، أيضا عندما نقول أن الأسرة مجموعة من الأنساق (مثل نسق الأم والأب والطفل والأخوة والزوجين) فهذا النسق غالبا ما يتكون من شخصين تنظم العلاقات بينهما مجموعة من القيم الاجتماعية، وأن نسق الأم والطفل أكثر الأنساق تخصصا في المجتم ع[7] ، من جانب آخر اعتبر **المشرع الجزائري** في مادتيه الثانية والثالثة الأسرة كالتالي:-

- **المادة الثانية:** الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع وتتكون من أشخاص تجمع بينهم صلة الزوجية وصلة القرابة.
- **المادة الثالثة:** تعتمد الأسرة في حياتها على الترابط والتكافل وحسن المعاشرة والتربية الحسنة وحسن الخلق ونبذ الآفات الاجتماعية[8].

والأسرة قد تكون كبيرة ممتدة أو صغيرة نووية، فالأسرة الممتدة (Famille Elargie) تعتبر تنظيما اجتماعيا أكبر من التنظيم الاجتماعي للأسرة النووية، بينما تتكون الأسرة النووية (Famille Nucléaire) من الأب، الأم، والأطفال الصغار وتعتبر هذه الأسرة وحدة مستقلة عن وحدات المجتمع المحلي، لا يمكنها البروز بصورة شاخصة في

المجتمعات البسيطة أو الريفية، ولهذا فهي تعتبر وحدة اجتماعية ملحقة أو متصلة بالأسرة الممتدة.

بناء على التعاريف السابقة لمفهوم الأسرة يتبين أن كل تعريف ركز صاحبه على جانب معين فمنهم من اعتبرها ظاهرة بيولوجية طبيعية، ومنهم من اعتبرها ظاهرة اجتماعية (Phénomène Social)، ومنهم من أرجعها إلى أنها ظاهرة تعود إلى روابط الدم والتبني، غير أن مفهوم الأسرة يشمل كل تلك الخصائص، فهي ظاهرة طبيعية واجتماعية يرتبط أفرادها بروابط الدم أو التبني، ويتفاعلون من أجل تحقيق أهداف مشتركة، أبرزها تنشئة الأفراد اجتماعيا (Socialisation) لنقل القيم والمعايير التي يرتضيها المجتمع، وهذه العملية تمثل أحد الأدوار الرئيسة للأسرة منذ نشأتها، فما المقصود إذا بمفهوم "**التنشئة الاجتماعية**" ؟

2. مفهوم التنشئة الاجتماعية (Socialisation)

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تؤثر على الأفراد في جميع المراحل العمرية، لما لها من أهمية في تكوين الشخصية وتكاملها، وهي تعد إحدى عمليات التعلم التي عن طريقها يكتسب الفرد العادات والتقاليد والاتجاهات والقيم السائدة بالمجتمع، غير أن هذا المفهوم **لغويا** لفظ غير معتمد في قواميس اللغة العربية ومعاجمها، بمعنى لم ترد مجتمعة "**تنشئة**" و"**اجتماعية**"، حيث يمكن أن نجد لفظ تنشأ ونشأ وتنشئة، وهي معانٍ تتضمن النمو والحياة وممارسة بعض الحركات والعمليات التربوية التي تعمل في مجموعها على جعل الصغير ينمو ويكبر، فكلمة "تنشئة"، وردت في المعجم

"**الوسيط**" بمعنى نشأ الشيء نشئاً ونشوءاً ونشأة، أي حَدَثَ وتجدد، والصبي شبَّ ونما، ويقال نشأت في بني فلان، ونشأ فلان نشأة حسنة[9]، وبارتباطها بلفظ "**اجتماعية**" يصبح مدلولها مقترناً بنمو الفرد في حالته الاجتماعية، وبهذا يمكننا استخلاص أن لفظ التنشئة الاجتماعية من الألفاظ المستخدمة في ميدان العلوم الاجتماعية.

أما **اصطلاحا** فهي ترجمة للكلمة الفرنسية (Socialisation)، والإنجليزية (Socialization) وهو مفهوم علمي

حديث في الاستخدام السوسيولوجي، لم يستخدم إلا في نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي، وهو أساسًا عملية

ثقافية يتم بواسطتها نقل الثقافة من جيل إلى جيل، بما يمكن الأفراد منذ طفولتهم من العيش في مجتمع ذي ثقافة معينة، هذا النقل يتم من خلال فرض أولويات المجتمع على الفرد، حيث تمثل التنشئة الاجتماعية نوعًا من الضبط الاجتماعي (Régulation Sociale) الذي يمارسه المجتمع على الفرد لترويضه وتكييفه مع المنظومة الاجتماعية، لكن لا يمكن إنكار أن الفرد ليس آلة متلقية عاجزة عن الإدراك أو التمييز بين ما يمكن أخذه من ثقافة المجتمع من جهة، وما يمكن أن يضر تبّنيه من جهة أخرى، فالأمر بالنتيجة يتدخل فيه اختيار الفرد وفق نسبة تحددها عوامل مختلفة، كالفروق الفردية بين الأفراد والنضج ووضوح المبادئ والإرادة وغيرها، فلا يصح أن نعدم نسبة الاختيار تمامًا.

يشير أيضا مفهوم التنشئة الاجتماعية (Socialisation) في العلوم التربوية والاجتماعية للدلالة على العملية التي يكتسب بوساطتها الفرد المعرفة والمهارات والإمكانات، التي تجعله بصورة عامة عضواً قادراً على ممارسة دور مناسب في مجتمعه، وهي مجموعة الأعمال المربية التي يمارسها الكبار في تحويل الصغار من كائنات فطرية بيولوجية إلى راشدين اجتماعيين، وهي تتضمن مفاهيم التطبع والتطبيع الاجتماعي والتربية والتعليم والتزكية والتهذيب، أيضا مفهوم التنشئة الاجتماعية يعني تلك العملية التي يتعلم بوساطتها أو من خلالها الأفراد قيم (Valeurs) ولغة المجتمع والسلوك المتوقع منهم بوصفهم أعضاء في المجتمع، ويتم ذلك من خلال الأسرة أو المدرسة وحتى زملاء الرفاق، وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات الاجتماعية التي تحدث في المجتمع والتي عن طريقها تتكون شخصية الفرد، فهي عملية يكتسب الفرد عن طريقها الذات الاجتماعية ويتكون بناء الشخصية، كما أن المجتمع تنتقل ثقافته من جيل إلى آخر عن طريق هذه العملية، والتنشئة الاجتماعية هي أيضاً عملية تطبيع اجتماعي للإنسان، أو هي العملية التي تساعد على بناء الشخصية التي بمقتضاها يتحول الفرد من كائن بيولوجي عند مولده إلى كائن اجتماعي يكتسب خبراته وتجاربه ممن سبقوه إلى الحياة ويؤثر ويتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه[10].من جهة أخرى أكد "**إميل دوركهايم**" (Émile Durkheim) على المعنى ذاته للتنشئة الاجتماعية، معتبرا إياها هي عملية تحويل الأفراد من كائنات بيولوجية إلى كائنات اجتماعية، فهي عملية تطبيع اجتماعي، تتواصل عبر سيرورة متعددة الأبعاد والانتماءات فهي تهم الفعل الذي تمارسه الأجيال الراشدة على الأجيال الصاعدة، بغية إدماجهم في النسيج المجتمعي وتمكينها من

آليات الاندماج في منظومة الحياة الجمعية، إن الأمر يتعلق بعملية تشريب اجتماعي، يمارسه الكبار داخل مؤسسات متعددة على الصغار بغاية تعليمهم القواعد والقيم التي يتبناها المجتمع (Société).

إن التنشئة الاجتماعية تروم – بالأساس- إعداد الأفراد والجماعات لاكتساب مجموعة من القيم والمعايير لممارسة الأدوار والعلاقات التي يتبناها المجتمع، وبما هي كذلك، فإن مؤسساتها تتوزع على الأسرة – وهي المؤسسة المستهدفة في هذا المقال – والمدرسة و وسائل الإعلام، فسيرورة التنشئة تتضمن مؤسسات وممارسات وعلاقات وطقوس وخطابات تضمن تأطير الأفراد وتوجيه سلوكياتهم وتصرفاتهم، وصياغة تصوراتهم وتمثلاتهم في سبيل تأسيس "**حس مشترك**"(Sens Commun)، يدل على الانصهار في بوتقة الجماعة واكتناز "نظرتها إلى الكون"[11]، عموما يمكن القول بأن التنشئة الاجتماعية هي عملية تربية جماعية للأفراد، تقود إلى تمكينهم من مجموعة من التواصلات والقيم والمعايير والضوابط التي تضمن لهم "التطبيع الاجتماعي" داخل المجتمع الذي ينتمون إليه، كما أن هناك فرق بين التنشئة الاجتماعية **الأساسية** و**الثانوية**، فالتنشئة الاجتماعية الأساسية ترتبط بسنوات النشأة الأولى أو سنوات الشخصية المبكرة، وهي العملية التي يبدأ فيها الأفراد بتحقيق التراكم المعرفي والمهارات المطلوبة ليكونوا أعضاء في مجتمع ما، وتتم هذه العملية من خلال أنشطة متنوعة مثل اللعب والرياضة والملاحظة والتفاعلات مع أفراد آخرين مؤثرين مثل الآباء والمربين والإخوة، وخلال هذه المرحلة من التنشئة تكون هذه الهويات الاجتماعية الأساسية قد بدأت بالتشكل خصوصا فيما يتعلق بالنوع الجنسي "الجندر/النوع"(Gender) أو"الإثنية/العرقية" (Ethnicity) أو "الدين" (Religion)...، أما التنشئة الاجتماعية الثانوية فمتعلقة بالخبرات الحياتية والاجتماعية والثقافية المعقدة والمستمرة، من هنا يشار إلى إطار أوسع من المهارات والمعارف والأدوار التي يتم تحصيلها وتعلمها طوال العمر، إن التنشئة الاجتماعية الثانوية هي عملية فهم وادراك معنى الجوانب الثقافية المتعددة التي نمر بها طوال حياتنا، وينظر إلى التعليم عادة على أنه حاضن للتنشئة الاجتماعية الثانوية، ففي مرحلة الدراسة يحصل الأطفال والمراهقون على المعرفة والمهارات – من خلال المواد العلمية والمناهج – المطلوبة لتخدم جزءا من عملية التنشئة الاجتماعية[12].

وعليه؛ تستخلص أن التنشئة الاجتماعية عملية اجتماعية تربوية ونفسية تعمل على إكساب الفرد الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه، ممثلة في القيم والاتجاهات والأعراف السائدة في مجتمعه ومعايير (Normes) السلوك الاجتماعي المرغوب في هذا المجتمع وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل، تبدأ منذ اللحظات الأولي في حياة الفرد حتى وفاته، ولا تقف عند عمر زمني معين، فيظل الفرد يكتسب سلوكيات معينة، ويعدل أخري، كما تتغير اتجاهاته ومنظومة قيمه واهتماماته عبر مراحل حياته المختلفة.

ثانيا: خصائص الأسرة والتغير الوظيفي لأدوارها في المجتمع

1. خصائص الأسرة

الأسرة في طبيعتها اتحاد اجتماعي تؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية، وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي، فقد أودعت الطبيعة في الفرد هذه الضرورة بصفة فطرية ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة، والاتحاد الدائم المستقر بين هذين الكائنين بصورة يقرها المجتمع، وتعتبر الأسرة نظام متميز له خصائص يتميز بها عند مقارنة هذا النظام بعدد في المجتمعات القديمة والحديثة، ولكن رغم هذا الاختلاف إلا أن النظام الأسري له مجموعة من الخصائص يشترك فيها مع بقية الأنظمة الأسرية الأخرى ومنها:-

أ. تقوم على أوضاع ومعايير وقيم يقرها المجتمع، وهي من عمل المجتمع وليست عملا فرديا حيث أنه في نشأتها وتطورها وأوضاعها قائمة على مصطلحات المجتمع، فمثلا الزواج هو محور القرابة في الأسرة والعلاقات الأسرية.

ب. تعتبر الأسرة الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها فهي التي تشكل حياتهم وتضفي عليهم خصائصها وطبيعتها، فمثلا الأسرة المتدينة تشكل حياة الأفراد بالطابع الديني إلى جانب ذلك فهي عربة الوعي الاجتماعي والتراثي والحضاري، وهي مصدر العادات والأعراف والتقاليد وقواعد السلوك وعليها تقوم عملية التنشئة الاجتماعية.

ج. الأسرة تؤثر فيما عداها من النظم الاجتماعية (Système Social) الأخرى وتتأثر بها، والنظم الاجتماعية في الدراسات الاجتماعية للأسرة هي التي تقوم على مجرد اصطلاحات يرتضيها العقل الجمعي وقواعد تختارها المجتمعات.

د. تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية، فقد كانت قائمة في القديم بكل مستلزمات الحياة واحتياجاتها، وكان نتاج الأسرة رهن استهلاكها، وعندما اتسع نطاق الأسرة أصبح النتاج العائلي من خصائص المرأة، وكان الرجل يعمل تابعا لهيئات أو مؤسسات أخرى، والأسرة مازالت تؤدي وظائفها الاقتصادية مع التطورات التي طرأت على نظامها، ففي الأسرة الحديثة لكل فرد عمل اقتصادي معين، وينظر معظم الأفراد إلى الأسرة الحديثة على أنها شركة اقتصادية بين عاملين هما الزوج والزوجة.

هـ. الأسرة وحدة إحصائية، أي يمكن أن تتخذ أساسا لإجراء الإحصاءات المتعلقة بعدد السكان ومستوى المعيشة ويمكن أن تتخذ كذلك كعينة للدراسة والبحث وعمل المتوسطات الإحصائية، وذلك للوقوف على المشكلات الأسرية ورسم المخططات المثمرة للقضاء عليها.

و. الأسرة هي الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لتحقيق غرائز الإنسان ودوافعه

الطبيعية والاجتماعية، وذلك مثل حب الحياة وبقاء النوع وتحقيق الدوافع الغريزية والعواطف والانفعالات الاجتماعية، وهذه كلها عبارة عن قوالب ومصطلحات يحددها المجتمع للأفراد ويستهدف من ورائها الحرص على الوجود الاجتماعي وتحقيق الغاية من الاجتماع الإنساني[13].

2. التغير الوظيفي لأدوار الأسرة في المجتمع

إنّ للأسرة دور فعال في حياة الفرد نظرا للعلاقة الوطيدة التي تربطه بها، فهو يعتمد عليها في تكوينه السيكولوجي والثقافي والأخلاقي منذ ولادته، لهذا فهي تلعب دروا أساسيا و فعالا في تحديد نمط السلوك الذي سيمارسه فيما بعد في حياته الاجتماعية، فالأسرة هي أول وسط يكسب فيه الفرد، اللغة، والعادات وآداب السلوك وقواعد الدين والعرف فهي التي تقوم بأهم وظيفة (Fonction) وهي التنشئة الاجتماعية إلى جانب وظائف أساسية أخرى للمحافظة على استمرار الحياة الاجتماعية ومنها وظيفة جديدة لم يهتم بها التحليل السوسيولوجي من قبل وهي **الوظيفة العاطفية** (Fonction émotionnelle)، ونعني بها التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والأبناء في منزل مستقل مما يخلق وحدة أولية صغيرة تكون المصدر الرئيس للإشباع العاطفي لجميع أعضاء الأسرة، وقد أصبحت هذه الوظيفة من الملامح المميزة للأسرة الحضرية الحديثة[14]، وقد اتفق علماء الاجتماع على عالمية هذه الوظائف، كما أكدوا على أهمية عامل آخر هو أن كل مجتمع إنساني ينظم ويضبط بطريقة نظامية العلاقات بين الجنسين من خلال تنظيم الزواج بهدف الإنجاب، حتى أن المجتمعات التي تسمى بدائية تحدد العلاقات بين الجنسين.

تعد الأسرة أول جماعة يتكون منها البناء الاجتماعي والوسط الذي يشبع الدوافع الجماعية للفرد وتحقق الإشباع الجنسي والعاطفي، كعاطفة الأبوة والأمومة وهي تمثل عامل أساس لنقل القيم والعادات والتقاليد التي يتميز بها كل مجتمع عبر الأجيال على مدى العصور، وعلى هذا الأساس فالأسرة يقع عليها مسؤولية نقل الاتجاهات الإيجابية للفرد وبتصورات موضوعية منطقية واعية في خط مواز بطبيعة العالم الخارجي وذلك حتى لا تحدث فجوة بين أسلوب الحياة داخل الأسرة وبين ما هو موجود في إطار المجتمع.

ومن ثم كانت الأسرة تقوم بكافة الوظائف الضرورية بداية من جمع القوت وتوفيره لأعضائها والقيام بمستلزمات الحياة وصنع الأدوات البدائية...، بمعنى أنه كانت الأسرة القديمة وحدة اقتصادية وهيئة سياسية وإدارية وتشريعية كما كانت هيئة دينية وتربوية، فاعتبرت آنذاك الأسرة دويلة صغيرة تقوم بمختلف الوظائف التي يتطلبها النشاط الاجتماعي، وقد ظلت الأسرة محتفظة بهذه الاختصاصات الواسعة في العصور التاريخية القديمة، إلا أن التطور الحاصل في أنظمة الدول وتقدمها الصناعي عمل على تجريد الأسرة الكثير من الوظائف، وأصبح لكل وظيفة هيئة مستقلة تعمل بشكل مؤسسة أو وزارة، فانتزعت من الأسرة الوظيفة السياسية وأنشئت لها هيئات إدارية وحكومية، كما انتزعت الوظيفة الاقتصادية منها، حيث أصبح الإنتاج لغاية الاستهلاك هو سمة الاقتصاد المعاصر، وأضحت الوظيفة الدينية من اختصاص رجال

الدين، كما بدأت وظيفة رعاية الأطفال وحضانة الأولاد تثقل كاهل الأسرة، بفضل ما أنشأته المجتمعات من مراكز لرعاية الطفولة وما وضعته من نظم للحضانة وحلت محل الأسرة في القيام بعملية التنشئة الاجتماعية، حيث أصبح الأطفال في الوقت الحاضر يحضون برعاية كبيرة وخدمات صحية وتربوية وترفيهية لم يكن الأطفال في الماضي يحصلون على مثلها، كما أن التغيرات التكنولوجية وما صاحبها من التخصصات الدقيقة التي حالت دون إمكانية التحاق الأطفال بالعمل قبل سن السادسة عشر (16) في معظم المجتمعات، إلى جانب قوانين الدراسة الإلزامية التي تمنع اشتغال الأطفال قبل إتمامها، كما تظهر أثر التكنولوجيا المباشر في استعمال وسائل منع الحمل مما قلص عدد الأطفال في الأسرة وخاصة في المنطقة الحضرية[15].

تستنتج مما سبق،أن الأسر الحضرية المعاصرة فقدت الكثير من وظائفها التقليدية التي كانت تقوم بها في

الماضي، وبتتبع التاريخ المكتوب نجد أن الأسرة في العصور السابقة كانت هي النظام الاجتماعي الرئيس، وقد صاحب هذه التغيرات التي تعرضت لها المجتمعات مثل زيادة التخصص وتعقد المجتمع الحديث وتغيرات في الوظائف التي كانت الأسرة تقوم بها من قبل، ما أدى إلى انتقال عدد كبير منها إلى مؤسسات أو تنظيمات خارج نطاق الأسرة.

ثالثا: العوامل المؤثرة على دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد

هناك عدة عوامل تؤثر على دور الأسرة في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد نذكر منها:-

1. المشاكل الاجتماعية

لقد أثبت العديد من لدراسات أهمية البيئة المنزلية في تنشئة وتطبيع الطفل، ولكن تعرض هذه البيئة لمجموعة من المشاكل خاصة الاجتماعية منها كضيق السكن، كثرة عدد الأفراد فيه، غلاء المعيشة، هذا الوضع يقلق الوالدين ويؤثر على أسلوبهما في معاملة الطفل، وكيفية توجيهه، حيث يضيق الخناق عليه وتعوق نموه الطبيعي وتحد من استقلاليته.

2. اتجاهات الوالدين

هي ما يراه الوالدين ويتمسكان به من أساليب في معاملة أطفالهم في مواقف مختلفة، وهي تتضمن السلوك المطلق للوالدين بتعويد الطفل الاعتماد على النفس ومساعدته على النمو الاجتماعي والعقلي، ولكن ظهور بعض الاتجاهات لدى الوالدين يحول دون ذلك، فالتسلط هو أحد الاتجاهات الوالدية لأن الطبيعة البشرية تميل إلى دفع الإنسان إلى تربية أطفاله بنفس الطريقة التي تربى بها، فإذا كان تلقى منذ طفولته تربية صارمة وقاسية من حيث إلزام الطاعة والأصول في السلوك والعفاف الجنسي والصدق فإنه من الطبيعي جدا أن يحس برغبة دفينة في أن

يبيت تلك العادات في نفوس أطفاله بنفس الطريقة، ورفض آرائهم وأفكارهم بكل تعنت ودون نقاش[16].

3. ثقافة الوالدين

إن ثقافة الوالدين تلعب دورا هاما في تنشئة الطفل إذ لابد أن يكونا ملمين بالمبادئ التربوية الأساسية التي تتعلق بطبيعة المخلوق الذي هما

بصدد رعايته وتكوينه كي تسهل عليهما المهمة، إن تفهم الوالدين لرغبات وميول أطفالهما يجعل القدرة على الابتكار تنمو لديهم، فعلى قدر الخبرات والتجارب التي يمر بها الوالدين في حياتهما وما تحصلا عليه من تربية وتعليم، والمستوى الثقافي... وما يتمتعان به من خصائص نفسية وعقلية واجتماعية تشكل حياة الطفل ونموه العقلي والجسمي والوجداني ومن ذلك يبرز دور الإرشاد بالنسبة للوالدين والطفل وأهميته في عملية التنشئة، وعلى عكس ذلك كله إذا لم تتوفر المعلومات الكافية والفهم الصحيح لخصائص الطفل لدى الوالدين وفي حالة جعلهما لكيفية توجيهه وتكوينه من جميع الجوانب، تكمن هنا صعوبة في تحديد الأسلوب السليم في عملية التوجيه والإرشاد النفسي.

4. الاستقرار العائلي

إن الاستقرار العائلي والتماسك الأسري يلعبان دورا بالغا في تكوين وإعداد الطفل وتطبيعه اجتماعيا بينما التصدع الأسري أو التفكك الذي يمس كيان الأسرة سواء بسبب الطلاق أو الموت أو الهجر كلها حالات لوضع اجتماعي يؤثر بطريقة أو بأخرى على عملية تنشئته الاجتماعية ويؤثر في سلوكه وتصرفاته، فغياب الأب والأم عن المنزل وغياب السلطة في البيت تؤدي إلى ظهور عدة أطراف أخرى تشارك في توجيه وإرشاد الطفل كزوج الأم أو زوجة الأب في حالة إعادة الزواج بالنسبة للوالدين المطلقين أو حالات أخرى، لذلك أكدت الدراسات النفسية الاجتماعية على أهمية مشاركة الوالدين في عملية التوجيه والإرشاد حيث تزداد هذه الأهمية بتطوير نضج الطفل ونموه الحركي وازدياد خبرته في السيطرة على البيئة.

5. أسلوب الأم

إن الطبيعة البشرية شديدة التعقيد وأن الأطفال والآباء يختلفون أشد الاختلاف في الشخصية والذكاء بحيث يظهر بالضرورة تشعب واختلاف في الرأي بشأن معاملة الطفل فكل يحدد نوع المعاملة حسب ما يراه مناسبا وخصوصا الأمهات فهن يتبعن أساليب مختلفة مع أبنائهن لاختلاف المواقف التي تحدث خلال حياة الطفل فكثيرا ما يتعرض الأطفال إلى مشاكل عديدة مثل مشكلة الامتناع عن الأكل، أو مشكلة الإصرار على طلب الأشياء أو المشاكل السلوكية كالكذب والسرقة والعنف، أو مشكلات تتعلق بالدراسة، ويمكن للأم أن تحقق نتائج أفضل في معالجة تلك المشكلات إذا واجهتها بهدوء يساعدها على التحليل والتفكير الهادئ لحل المشكلة بإتاحة الفرصة للطفل للاختيار ما يحب بدلا من إلزامه بما ينبذ ويجب أن تكون الأم قدوة حسنة وأن يكون سلوكها حضاريا وجيدا[17].

رابعا: المؤسسة الأسرية وأثرها على التنشئة الاجتماعية للفرد

تعتبر الأسرة المجال الاجتماعي للتنشئة الاجتماعية، حيث أول الناس الذين يمارسون مستلزمات التربية والتعليم في حياة الفرد، هما الوالدان، حيث تقوم الأم بتعليمه كيفية الاعتماد عليها في تغذيته والاعتناء به لتنمي عنده ثقته بها وبباقي أفراد الأسرة، وعبر هذا الاعتماد يرى الطفل أفراد أسرته عبارة عن رموز مهمة في عالمه لأنهم عناصر مهمة في تفاعله معهم بشكل يومي ومستمر وعلى مر الأيام وبالتدرج يتعلم كيف يدرك

إشاراتهم وحركاتهم وانفعالاتهم وحزنهم ويتعلم من خلالهم معانيها،هذه هي الخطوة الأولى في الأسرة تحدد معالم صورته حول نفسه، ثم يتقدم الوالدين أكثر في حياته ليعلمونه السلوك المقبول وغير المقبول، الجيد والرديء،وعند ممارسته لهذه السلوكيات تصاحبه استحسان وقبول الوالدين لتصرفاته، وبذلك يحصل على صورة الرجع التي تغذي الملامح الأولى لنفسه، وبهذا النهج يتعلم ردود فعل والديه حول سلوكياته السلبية والإيجابية التي ترتسم على وجودهم وأفعالهم وأقوالهم، إذ تمثل إجابات شافية حول تساؤلاته عن سلوكياته التي لم تأخذ شكلها النهائي.

في الواقع تقوم الأسرة بتغذيته والاعتناء به وتعليمه مهارات وقدرات حسب جدول زمني محدد بالذات، فيما يخص طعامه ونومه وتقبله لأصناف جديدة من الطعام، هذه المهمة التأنيسية هدفها إعداد الطفل صحيا وجسميا واجتماعيا، لكي يكون أحد أفراد المجتمع، وهذا من خلال اكتسابه صفاته العامة مثل الآداب والتقاليد والأعراف، في سلوكه وتفكيره ولبسه التي تنقل إليه بواسطة والديه، بمعنى آخر تقوم الأسرة بإدماج طفلها في الإطار الثقافي العام عن طريق إدخال التراث الثقافي في تموينه وتوريثه إياه، معتمدة على نماذج السلوك المختلفة في المجتمع الذي ينتسب إليه، وتدريبه على نهج التفكير السائد فيه وغرس المعتقدات الشائعة في نفسه، فينشأ منذ الطفولة في جو مليء بهذه الأفكار والمعتقدات والقيم والأساليب، فلا يستطيع التخلص منها لأنه لا يعرف غيرها ولأنه يكون قد شب عليها، وتكون بدورها قد تغلغلت وأصبحت طبيعية أي أصبحت من مكونات شخصية[18].

فالأسرة هي النواة والجماعة الأولى التي ينشأ فيها الأفراد، باعتبارها مجتمع مصغر ومنها تتكون مبادئ العلاقات الاجتماعية والطباع، وفيها تنشأ أسس العلاقات بين الأفراد، فهي الوسط الاجتماعي الأكثر أهمية في عملية التربية والتنشئة الاجتماعية، باعتبارها المصدر الأساس لكل فعل أو سلوك يقوم به الأبناء، والمتهم الأول في كل عملية خروج عن قيم ومعايير المجتمع، وعليه؛ فإن بنية الأسرة ووظيفتها تحدد إلى حد كبير طبيعة المجتمع وبنيته، فأبناء **الأسرة النووية** يختلفون في تربيتهم عن أبناء **الأسرة الممتدة**، كما أن نوعية العلاقات السائدة بين الوالدين وبين أبنائهم والمشاكل التي تعيشها الأسرة تؤثر تأثيرا كبيرا على الأبناء وعلى تصرفاتهم سواء داخل الأسرة أو في الشارع أو في المدرسة أو في أي مكان آخر، وكما سبق القول أن الأسرة من أولى الجماعات التي ينتمي إليها الطفل وأشدها صلة به فهي المجال الأول الذي تتم فيه عملية التنشئة الاجتماعية للفرد والتي يتلقى فيها طريقة إدراك الحياة، وأيضا كيفية التوجيه والتوافق والتفاعل مع المجتمع والآخرين[19]، كما تلعب الأسرة دورا أساسيا في تنشئة الطفل وتربيته من عدة جوانب أهمها:-

1. الناحية الجسمية

يتأثر النمو الجسمي للطفل بالظروف الاقتصادية والاجتماعية والصحية السائدة في الأسرة، فالتيسر في النواحي المادية وتوفر أسباب الصحة كالنظافة والغذاء الجيد و وسائل الراحة وغيرها من العوامل الكافية لحماية وصيانة الأطفال من الأمراض وإتاحة الفرصة لهم للعب حتى تنمو أجسامهم نموا سليما متزنا، كما يتأثر نموهم بانعدام هذه الأساسيات الضرورية.

2. الناحية اللغوية

إن أول مصدر يكتسب منه الطفل اللغة هو الوالدين قبل أن يكتسبها من الوسط الخارجي أو التعليمي أي المدرسة، لأنه يتأثر بأفكار آراء الكبار عن طريق حديثهم وتعاملهم معه أو مع الآخرين، فتزداد معارفه تبعا للمستوى الثقافي الذي يعيش فيه ثم يبدأ قاموسه اللغوي في التوسع، بتوسع دائرة احتكاكه وتفاعله في المجتمع، فالطفل الذي ينحدر من أسرة تحتوي على مكتبة ذات مستوى اقتصادي ثقافي عال يكون مردوده اللغوي الثقافي في أسلوبه التعليمي أفضل وأحسن من الطفل الذي يأتي إلى المدرسة من أسرة لا تتوفر على نفس الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

3. الناحية الاجتماعية

تؤثر الأسرة تأثيرا هاما في الطفل من الناحية الاجتماعية لأنها تطبع فيه أساليب السلوك الاجتماعي من عادات كالأكل والشرب واللباس وطريقة معاملة الآخرين، وكل ذلك يكون عن طريق تقليده لجميع ما يقوم به الكبار لاعتقاد منه بأنه النموذج الفريد والمثالي للاقتداء به، وعليه؛ لابد من مراعاة خطوة هذا التأثير والحرص على أن الأسرة منبع القيم والمبادئ الحسنة وأنماط سلوكية فاضلة تخدم الفرد والمجتمع معا، ذاك أن كل ما يصدر عن الوالدين أو أحدهما من تصرفات وسلوكيات قد يؤثر على الطفل ونمو شخصيته سواء القصد بذلك عملية التوجيه أو التربية، فالفضائل الخلقية والسلوكية والوجدانية هي ثمرة من ثمرات التنشئة الأسرية التي هي عملية تعتمد على التفاعل الاجتماعي بين الطفل وأبويه وإخوته[20].

وعلى هذا الأساس أضحت الأسرة من أقوى المؤسسات الاجتماعية (Institutions Sociales) التي تتولى الأفراد بالتربية والتنشئة، فهي تعد الوحدة الاجتماعية الأولى التي يحتك بها الفرد احتكاما مباشرا ومستمرا، كما أنها المكان الأول الذي ينمو فيه أنماط السلوك والتي يعيش فيها السنوات التشكيلية الأولى من عمره، وقد عرفت المجتمعات الإنسانية وسائط تربوية متعددة مثل مؤسسات العبادة والترويح والتعليم، ولكن الأسرة كانت ولا تزال أهم وأخطر هذه المؤسسات في عملية التنشئة الاجتماعية وذلك للأسباب التالية:-

1. أن الطفل في الأسرة لا يكون خاضعا لسلطان جماعة أخرى غيرها سابقة عليها ،لذا فإن عملية تزويد الطفل بالعادات والقيم التي ينشدها المجتمع والتي تتم في محيط الأسرة تكون عميقة الأثر.
2. أن الجماعة الأولية المتمثلة في الأسرة هي التي تقوم بتلك العملية والتي لا تتم عن طريق التفاعلات والخبرات التي يحصل عليها الفرد من الجماعة التي ينتمي إليها.
3. أن الأسرة كجماعة أولية تصلح كأداة رئيسية للضبط الاجتماعي لما لها من مقدرة فائقة على معاقبة المنحرف ومكافأة السوي.
4. تعتبر الأسرة في كافة المجتمعات الإنسانية من أكبر الجماعات الأولية تماسكا، ولهذا تيسر فيها عمليات الاتصال وتنشيط عملية انتقال العادات والاتجاهات.

5. تقوم الأسرة بتزويد الطفل بمختلف الخبرات أثناء سنواته التكوينية ومما لا شك فيه أن نجاح الطفل في حياته يتوقف على خبراته ومهاراته التي لا يمكن إكسابه إياها إلا عن طريق الأسرة[21].

تأسيسا على ما تقدم، يمكن أن نخلص إلى أن الأسرة هي التي تضع الجذور الأولى لشخصية الفرد وخبراته التي تستمر طوال حياته، فجماعة الأسرة تتمثل في الجماعة المرجعية ذات التأثير المباشر عليه.فمن خلال عملية تفاعل الطفل مع أفراد أسرته يتعرف على قدراته وأبعادها ويتعلم الأنماط السلوكية المتعارف عليها اجتماعيا والأساليب المشروعة لتحقيق الأهداف المحددة ثقافيا ونظم الإثابة والعقاب بمجتمعه، وطرق الاستجابة للمؤثرات المختلفة وأساليب التعبير عن المشاعر والانفعالات.

خاتمة

تعتبر الأسرة تاريخيا جماعة اجتماعية أساسية ودائمة تسود سائر المجتمعات ومختلف الثقافات، وهي نظام اجتماعي رئيس في المجتمع له وظائفه وآلياته وضوابطه، يعمل على استقراره والمحافظة عليه، كما تعتبر بناء اجتماعي (Construction Sociale) يتكون من أفراد يربط فيما بينهم روابط اجتماعية وأخلاقية ودموية وروحية وهي شبكة من العلاقات تتفاعل فيما بينها من خلال الوظائف التي تستمر في تأديتها، والتي تكمن أساسا في وظيفة التنشئة الاجتماعية، باعتبارها العملية تتشكّل من خلالها معايير الفرد ومهاراته، ودوافعه واتجاهاته وسلوكه لتكون متوائمة مع ما يعتبره المجتمع مرغوبا فيه.

ليس هذا فحسب؛ بل أنّ التنشئة الأسرية لم تقتصر على صياغة المواقف والاتجاهات الشخصية، بل وصلت إلى تعليم وتلقين القواعد والمعايير والضوابط الاجتماعية، لأن وظيفة التنشئة الاجتماعية تعدّ من أهم واجبات الأسرة اتجاه المجتمع، فهي تقوم بتزويده بقوى بشرية فاعلة تحافظ على بنائه وضوابطه الاجتماعية، علما أنّ عملية التطبيع وحدها لن تحقق الاستمرار والتوازن في نظام العلاقات الاجتماعية بدون الاستفادة من المنظومة القيمية الموجودة في المجتمع من دين وأعراف وعادات (Mœurs) وتقاليد، وقوانين تلزم الأفراد والجماعات في المجتمع بمراعاتها والتمسّك بها، لأنها هي التي تكوّن الضمير الجمعي (Conscience Collective) الذي يقوم بمراقبة تصرفات الأفراد باستعمال سلطة اجتماعية.

قائمة المراجع

[1]- الأحمر أحمد سالم:علم اجتماع الأسرة بين التنظير والواقع المتغير، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان،2004،ص16

[2]- ابن المنظور جمال الدين محمد بن مكرم:(1414ه): لسان العرب، دار صادر للنشر، ط3، ج13، بيروت، لبنان،1414ه،ص19

[3]- الجوهري عبد الهادي: معجم علم الاجتماع، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر،1999،ص122.

[4]- القصير عبد القادر: الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة المعاصرة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان،1999،ص35.

[5]- غيث محمد عاطف: قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر،1989،ص167.

[6]- أبو جادو صالح محمد علي: سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،الأردن،1998،ص24.

[7]- الخشاب مصطفى: دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1985، ص86.

[8]- الجريدة الرسمية: القانون رقم 84-11 المؤرخ في 09 رمضان 1404ه الموافق 09 يونيو 1984، المتضمن قانون الأسرة، المعدل والمتمم،1984،ص01.

[9]- المعجم الوسيط:مجمع اللغة العربية (الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث)،مكتبة الشروق الدولية، ط04، مصر، 2004،ص920.

[10]- المجلس العربي للطفولة والتنمية:التنشئة الاجتماعية للأطفال في البلدان العربية، نحو نموذج جديد للتنشئة (دراسة ميدانية)، منشورات المجلس العربي للطفولة والتنمية، القاهرة، مصر،2008،ص50.

[11]-سبيلا محمد، الهرموزي نوح: موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، منشورات المتوسط، ط01، الرباط،المغرب،2017،ص167.

[12]- سكوت جون: علم الاجتماع المفاهيم الأساسية، ترجمة: محمد عثمان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط01، بيروت، لبنان،2009،ص ص132-133.

[13]- الخشاب مصطفى: مرجع سابق،ص43.

[14]- الخولي سناء: الزواج والعلاقات الأسرية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.،ص62.

[15]- الخولي سناء: الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،1984،ص283.

[16]- فيلالي سليمة:علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف المدرسي، دراسة ميدانية بثانويات مدينة "باتنة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع العائلي، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر،2005،ص29.

[17]- فيلالي سليمة: مرجع سابق،ص ص30-31.

[18]- معن خليل عمر: علم الاجتماع الأسرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، الأردن،1994،ص ص24-25.

[19]- عفاف محمد عبد المنعم: الإدمان دراسة نفسية لأسبابه ونتاجه، دار المعرفة الجامعية، مصر،2003،ص50.

[20]- عوض عباس محمود، الدمنهوري رشاد صالح:علم النفس الاجتماعي (نظرياته تطبيقاته)، دار المعرفة الجامعية، مصر،1994،ص65.

[21]- عفيفي عبد الخالق محمد(2011)، بناء الأسرة والمشكلات الأسرية المعاصرة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر،2011،ص ص102-103.